المحاضرة الثانية

نشأة الانثروبولوجيا الثقافية ومراحل تطوّرها

لم تظهر الأنثروبولوجيا الثقافية كفرع مستقلّ عن الأنثروبولوجيا العامة، إلاّ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وربّما يعود الفضل في ذلك إلى العالم الإنكليزي **إدوارد تايلور** **E. Tylor** الذي يعدّ من روّاد الأنثروبولوجيا، والذي قدّم أول تعريف شامل للثقافة عام 1871 في كتابه **الثقافة البدائية**, وقد مرّت الأنثروبولوجيا الثقافية بمراحل متعدّدة، منذ ذلك الحين حتى وصلت إلى ما هي عليه في العصر الحاضر.

1. الفترة التكوينية للأنثروبولوجيا الثقافية **(**1900**-**1915**)**.

تركزت في تلك الفترة مجهودات وأعمال تلاميذ العالم الاستاذ **فرانز بوازFranz Boas** في القسم الأول من اتجاهه أو نظريته وهي الدراسات التفصيلية لمجتمعات صغيرة لتحديد عناصر وتاريخ وتطور ثقافاتها قبل أن تنقرض. ونتج عن ذلك دراسات ميدانية عديدة على ثقافة الهنود الحمر في أمريكا، وتوصّل الانثروبولوجي الأمريكي **كلارك ويسلر Clark Wissler** إلى وسيلة جديدة في هذا المجال تعرف **بالمنطقة الثقافية cultural area: التي تشير إلى طرائق السلوك الشائعة بين عدد من المجتمعات التي تتميّز باشتراكها في عدد من مظاهر الثقافة، نتيجة لدرجة معيّنة من الاتّصال والتفاعل.** وترمي تلك الوسيلة إلى تقسيم أو تصنيف ثقافات العالم إلى مجموعات ثقافية، تتكون كل مجموعة من عدة ثقافات متشابهة، وقد أطلق على كل مجموعة مصطلح (المنطقة الثقافية)، وهي إقليم أو منطقة من العالم تعيش عليها مجموعة من المجتمعات الإنسانية ذات الثقافات المتشابهة، وللوصول إلى تحديد تلك المنطقة الثقافية لابد من دراسة ثقافات مجتمعات منطقة محدودة بشيء من التفصيل لتحديد عناصر تلك الثقافات وتحديد مدى انتشار تلك العناصر في المنطقة الثقافية، ومن أمثلة تلك العناصر الوسائل المستخدمة في الحصول على الطعام وطرق طهي الطعام والأدوات المستخدمة في الصيد وفي الطهي والزينة، والمواد المستخدمة في بناء المنازل وأساليب بناءها، هذا بالإضافة إلى النظم الاجتماعية كنظام القرابة واصطلاحات القرابة ونظم الزواج ونظم تربية الأبناء والنظام الديني بعناصره المختلفة والنظام السياسي وما إلى ذلك، وقد وضع (ويسلر) نموذجا لشرح نظريته فشبه المنطقة الثقافية بدائرة، ومركز تلك الدائرة يمثل **(مركز الثقافة)** ويقصد بذلك المصطلح المكان أو المجتمع الذي تتركز فيه معظم العناصر الثقافية المنتشرة في المنطقة الثقافية أو الذي يوجد فيه أكبر تكرار للعناصر الثقافية النمطية، وبالقرب من محيط الدائرة يوجد **(هامش الثقافة)** حيث تقل عناصر المنطقة الثقافية وذلك لاختلاط تلك العناصر بعناصر ثقافية أخرى. وهكذا جاء مفهوم المنطقة الثقافية، كتصنيف وصفي وتحليلي للثقافات، الأمر الذي يسهل المقارنة بين الثقافات، ومن ثمّ الوصول إلى تعميمات بشأن الثقافة الإنسانية كلّها, طبق مفهوم المنطقة الثقافية بدرجات متفاوتة من النجاح على عدة نظم ثقافية في مناطق متعددة من العالم بل لقد طبق على قارات بأكملها مثل أمركا الشمالية وأفريقيا وآسيا وأوروبا. وحاول بعض العلماء الانتقال من مبدأ (المنطقة الثقافية) القائم أساسا على فكرة ظهور العنصر الثقافي في مكان محدد لأول مرة ثم ينتشر استخدامه في المناطق المحيطة به إلى مبدأ **(المنطقة الزمنية)** على أساس أن عمر العنصر الثقافي يكون في المكان الذي ظهر فيه أطول من عمره في الأماكن الأخرى التي انتشر فيها، تعرض تطبيق مبدأ (المنطقة الزمنية) لعقبات ومشاكل كثيرة ولذلك لم ينجح مثل مبدأ (المنطقة الثقافية) وليس معنى ذلك أن نظرية (المنطقة الثقافية) لم تتعرض للنقد السلبي، فقد أثير حولها الكثير من الجدل والاعتراضات، وقد لخص العالم **ديكسون Dixon** تلك الاعتراضات فيما يلي:

1. عدم وضوح طريقة التطبيق، فمثلا نمط ثقافي مثل الزراعة هل ننظر إليه على أنه عنصر ثقافي بسيط أم عنصر ثقافي مركب يتكون من عدة عناصر ثقافية بسيطة.
2. صعوبة تحديد خطوط دقيقة تفصل بين منطقة ثقافية وأخرى، إذ أن مثل تلك الخطوط لا توجد في الواقع نظرا لتداخل المناطق الثقافية في الإقليم الواحد.
3. قد يفهم من نظرة )المنطقة الثقافية( أن هناك ترابط بين البيئات الجغرافية والحضارات التي توجد فيها، ولكن تثبت الدراسات الميدانية عدم عمومية ذلك الترابط، إذ يعيش الإنسان في البيئات الجغرافية المتشابهة بطرق معيشة مختلفة تماما عن بعضها بحيث نجد ثقافات مختلفة تماما في بيئات جغرافية متشابهة، ومن ناحية أخرى قد نجد ثقافات متشابهة في بيئات جغرافية مختلفة.